

الفصل الخامس:  
فضل أخلاق الصالحين

obeikandi.com

## الفصل الخامس: فضل أخلاق الصالحين

### أخلاق الصالحين

قال الله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ (1).

قال الله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْفَيْضَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْحَسَنِينَ﴾ (2).

### أحاديث نبوية

\* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ» (3).

\* عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَدِيَّ» (4) (5).

### عظماء بأخلاقهم

خلق من الجنة :

قيل تزوج رجل بامرأة، فقبل الدخول ظهر بالمرأة مرض الجدري . فقال الرجل: اشتكت عيني .

(1) سورة: البقرة، الآية: 263 .

(2) سورة: آل عمران، الآية: 134 .

(3) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

(4) البَدِيُّ: هو الذي يتكلم بالفحش ورويء الكلام .

(5) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح .

ثم قال: عَمِيَتْ عيني لطفاً بها في نفي الحزن عنها بظهوره على ما بها من الجدري.

فزُفَّت إليه المرأة، ثم ماتت بعد عشرين سنة وهو فيها يوهم المرأة أنه أعمى، لثلا تحزن. ففتح الرجل عينيه بعد موتها، فقيل له في ذلك!! فقال: لم أعمَ ولكن تعاميت حذراً من أن تحزن.

فقيل له لكمال مروءته وشفقته على الخلق: قد سبقت الفتيان - أي سبقت أهل المروءة - .

هذا يشبه ما وقع لحاتم الأصم لما جاءته المرأة تستفتيه، فخرج منها ريح في حال كلامها معه، فاستحيت وتداركها وجبر حالها فقال لها: ارفعي صوتك حتى أسمع ما تقولين! ففرحت لكونه لم يسمعها، لذلك سُمِّيَ «بالأصم»<sup>(1)</sup>.



## خلق وكرم

قيل: إن رجلاً من الحجيج نام بالمدينة المشرفة فتوهم أن هيمانه - كيسه - سُرق، فخرج فرأى جعفر الصادق ... وهو لا يعرفه!! فتعلق به، وقال له: أنت أخذت هيماني؟

فقال له: ما الذي كان في داخله؟

فقال: ألف دينار، فأدخله داره ووزن له ألف دينار.

فرجع الرجل إلى منزله ودخل بيته فرأى هيمانه في بيته وكان قد توهم أنه حمله معه على عادته من حرصه عليه وأنه سُرق منه . فخرج إلى جعفر معتذراً مستغفراً مما جرى منه وردَّ عليه الدنانير فأبى أن يقبلها، وقال: شيء أخرجته من يدي لله تعالى ... لا أستردُّه.

(1) الرسالة القشيرية .

فقال الرجل: من هذا؟! فقيل: جعفر بن محمد الصادق.

وفي ذلك دلالة على كرم جعفر الصادق وحفظه لمروءته وصيانيته لعرضه وبعائه للملهوف وشفقته على عباد الله.



### سارقة الكرخي

يقال نزل معروف الكرخي دجلة ليتوضأ ووضع مصحفه وملحفته على شاطئ دجلة، فجاءت امرأة واستغفلته وحملتهما ومضت بهما، فتبعها معروف برفق.

وقال لها: يا أختي، أنا معروف ولا بأس عليك من جهتي، ألك ابن يقرأ القرآن؟! قالت له: لا.

قال: فزوج كذلك؟! فقالت: لا، فقال: فهاتِ المصحف وخذي الثوب.

وذلك لغلبة ظنه أنها ما أخذتهما إلا لحاجة! ففيه حسن الظن بالمسلمين أنهم يأخذون من أموال الناس ما دعت حاجتهم إليه.



### يستر على سارقه

دخل اللصوص مرة دار الشيخ أبي عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه وحملوا ما وجدوا فيها من الأموال، فسمعت بعض أصحابنا يقول: سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول: مررت مرة بالسوق فرأيت جُبتِي على من يزيد<sup>(1)</sup> فيها ليشتريها فأعرضت عنه ولم ألتفت إليه...

فقد فعل ذلك إماماً سترأ على سارقها، أو لكونه كان احتسبها عند الله لَمَّا سُرقت فكره أن يرجع فيما تركه لله.



(1) وهو ما يسمى المزاد العلني وقد فعله النبي ﷺ.

## يقبل القبيح

قيل كان لعبد الله الخياط حزيف - زبون - مجوسي يخيظ له ثياباً ويدفع إليه بدل خياطته دراهم زيوفاً - أي مزيفة - وكان عبد الله يأخذها منه .

فاتفق له أنه قام من حانوته يوماً لشغل، فجاء المجوسي بالدراهم الزيوف فدفعها إلى تلميذه فلم يقبلها، فدفع إليه الصبحاح، فلما رجع عبد الله إلى حانوته، قال لتلميذه: أين قميص المجوسي؟! فذكر له القصة. فقال: بشما عملت!! إنه منذ مدة يعاملني بمثلها وأنا أصبر عليه وأخذها منه وألقيها في بئر لئلا يغتر بها غيري .



## المهدي يستر على امرأة

قال أحمد بن مهديّ بن رستم: جاءني امرأة ببغداد فقالت: أكرهت على نفسي<sup>(1)</sup> وأنا حُبلى وذكرْتُ للناس أنك زوجي وأنّ الحمل منك فلا تفضحني، استرني سترك الله تعالى . قال: فوضعت، فجاء إمام المحلة في جماعة الجيران يهتئونني بالولد فأظهرت لهم التهلل ووزنت دينارين ودفعتهما إلى الإمام وقلت أبلغ هذا إلى المرأة فلتنقله على المولود فإنه سبق ما فرّق بيني وبينها - أي أنه قد طلقها - فكننت أدفع كل شهرين دينارين إلى أن أتى على ذلك سنتان ثم توفيّ المولود، فجاءني الناس يُعزونني فكننتُ أظهر لهم التسليم والرضا، فجاءني المرأة ومعها الدنانير فردّتها، وقالت: سترك الله كما سترتني .

فقلت: هذه الدنانير كانت صلة للمولود وهي لك لأنك كنت تربيته<sup>(2)</sup> .



(1) أكرهت على نفسي: اغتصبها أحد ما .

(2) أحاسن المحاسن .

## طلق خمس نسوة لسوء خلقه

قال الأصمعي: قلت للرشيد يوماً: بلغني يا أمير المؤمنين أن رجلاً من العرب طلق في يوم خمس نسوة.

قال: إنما يجوز ملك الرجل على أربع نسوة، فكيف طلق خمساً؟

قال: كان لرجل أربع نسوة فدخل عليهن يوماً فوجدهن متلاحيات متنازعات، وكان سيئ الخلق.

فقال: إلى متى هذا التنازع؟ ما أخال هذا الأمر إلا من قبلك، يقول ذلك لامرأة منهن، اذهبي فأنت طالق.

فقال له صاحبته: عجلت عليها بالطلاق، ولو أدبتها بغير ذلك لكنت حقيقاً، فقال لها: وأنت أيضاً طالق.

فقال له الثالثة: قبحك الله، فوالله لقد كانتا إليك محسنتين وعليك مفضلتين، فقال: وأنت أيتها المعددة أيديهما طالق أيضاً.

فقال له الرابعة: - وكانت هلالية<sup>(1)</sup> وفيها أناة شديدة - ضاق صدرك عن أن تؤدب نساءك إلا بالطلاق.

فقال لها: وأنت طالق أيضاً.

وكان ذلك بمسمع جارة له: فأشرفت عليه وقد سمعت كلامه.

فقال: والله ما شهدت العرب عليك وعلى قومك بالضعف إلا لما بلوه منكم ووجدوه فيكم، أبيت إلا طلاق نساءك في ساعة واحدة.

قال: وأنت أيضاً أيتها المؤنبة المتكلفة طالق إن أجاز زوجك.

فأجابته من داخل بيته: هيه، قد أجزت، قد أجزت!!<sup>(2)</sup>.



(1) هلالية: من بني هلال.

(2) دولة النساء (سمير المؤمنات).

## التواضع من الأخلاق

بلغ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أن ابناً له اشترى فصاً - خاتم - يلبسه بألف درهم، فكتب إليه عمر: بلغني أنك اشتريت فصاً بألف درهم فهذا حال المتكبرين!! فإذا أتاك كتابي هذا فبع الخاتم وأشبع بثمانه ألف بطن، فإنه أفضل لك عند الله واتخذ خاتماً من درهمين فأقل، واجعل فصه حديداً صينياً - نسبة إلى بلد الصين - وذلك لأنه أثبت للنقش عليه لصلابته وكتب عليه:

«رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه» لتتذكر كلما رأيت قدرها وتتواضع لرَبِّكَ<sup>(1)</sup>.

## خُلُقُ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ

يروى في كتب الأدب أن معن بن زائدة، كان أميراً على العراق وكان حليماً كريماً يُضرب به المثل فيهما، فتقدم إليه أعرابي ممتحن حلمه فقال له:

أَتَذَكُرُ إِذْ لِحَافِكَ جِلْدَ شَاةٍ      وَإِذْ نَعْلَاكَ مِنْ جِلْدِ الْبَعِيرِ  
قال: نعم، أذكر ذلك ولا أنساه.  
قال:

فَسَبْحَانَ الَّذِي أَعْطَاكَ مُلْكاً      وَعَلِمَكَ الْجُلُوسَ عَلَى السَّرِيرِ  
قال: سبحانه و تعالی.

قال:

فَلَسْتُ مُسَلِّماً إِنْ عَشْتُ دَهْرًا      عَلَى مَعْنٍ بِتَسْلِيمِ الْأَمِيرِ  
قال: يا أخا العرب، السلام سنة.

قال:

سَارِحِلُ عَنْ بِلَادِ أَنْتَ فِيهَا      وَلَوْ جَارَ الزَّمَانَ عَلَى الْفَقِيرِ  
قال: يا أخا العرب إن جاورتنا فمرحباً بك، وإن رحلت فمصحوباً بالسلامة.

(1) الرسالة القشيرية.

قال :

فجد لي يا بن ناقصة بشيء فإنني قد عزمْتُ على المسير  
قال: أعطوه ألف دينار يستعين بها على سفره، فأخذها وقال :

تليل ما أتيت به وإنني لأطمعُ منك بالمالِ الكثير  
قال: أعطوه ألفاً أخرى فأخذها.

وقال :

سألتُ الله أن يبقيك ذخرأ فما لك في البرية من نظير  
فقال: أعطوه ألفاً أخرى.

فقال الأعرابي: أيها الأمير ما جئت إلا مختبراً حلمك لما بلغني عنك،  
فلقد جمع الله فيك من الحلم ما لو قُسم على أهل الأرض لكفاهم.

فقال معن: يا غلام، كم أعطيته على نظمه؟

فقال: ثلاثة آلاف دينار.

فقال: أعطه على نثره مثلها، فأخذها ومضى في طريقه شاكرأ<sup>(1)</sup>.



### الخبيرة ليست من الأخلاق

قال المغيرة بن شعبة رضي الله عنه لم يخدعني سوى رجل من بني الحرث بن كعب  
فإنني ذكرت امرأة منهم لآتزوجها.

فقال: أيها الأمير لا خير لك فيها . فقلت: ولم؟

قال: رأيت رجلاً يُقبلها، فأعرضت عنها، فتزوجها الرجل فلمته وقلت له:  
ألم تخبرني بأنك رأيت رجلاً يُقبلها . قال: نعم. رأيت أباهَا يُقبلها<sup>(1)</sup>.



(1) موسوعة الخطباء المرشدين.

## الأخلاق عند الأولياء

حُكي أن بعضهم جاء إلى بعض المشايخ وخدمه . وقال له : أريد أن تعلمني الاسم الأعظم .

فقال له : وفيك أهلية؟ قال : نعم .

قال : اذهب إلى باب البلد ثم أخبرني بما جرى فيه .

فذهب وجلس على باب البلد، فإذا بشيخ حطاب معه حطب على حمار فضربه جندي وأخذ حطبه ظلماً، فلما رجع الرجل إلى الشيخ وأخبره بالقصة، قال له الشيخ : لو كنت تعلم الاسم الأعظم ما تصنع بالجندي؟

قال : كنت أدعو عليه بالهلاك .

فقال له الشيخ : اعلم أن الحطاب هو الذي علمني الاسم الأعظم، واعلم أن الاسم الأعظم لا يصلح إلا لمن يكون على هذه الصفة من الصبر والرحمة على الخلق والشفقة عليهم<sup>(1)</sup> .



## الوفاء العجيب

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ : «أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال : اتني بالشهداء أشهدهم : فقال : كفى بالله شهيداً . قال : فائتني بكفيل، فقال : كفى بالله كفيلاً، قال : قد صدقت .

فدفعتها إليه إلى أجل مسمى فخرج للبحر فقضى حاجته، ثم التمس مركباً يقدم عليه للأجل الذي أجله فلم يجد مركباً فأخذ خشبة، فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها ثم أتى بها البحر، فقال : اللهم إنك تعلم أنني كنت تسلفت فلاناً ألف دينار، فسألني كفيلاً، فقلت : كفى

(1) موسوعة الخطباء والمرشدين .

كفى بالله كفيلاً، وسألني شهيداً، فقلت: كفى بالله شهيداً.

وإني قد جهدت أن أجد مركباً أن أبعث إليه الذي له، فلم أقدر وإني استودعتها فرمى بها في البحر، حتى ولجت<sup>(1)</sup> فيه ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركباً قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطباً، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بالآلف دينار وقال: والله ما زلت جاهداً في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركباً قبل الذي أتيت فيه.

قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت به في الخشبة، فانصرف بالآلف دينار راشداً<sup>(2)</sup>.



### جريمة في الجاهلية

روي أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ كان لا يزال مغتماً بين يدي رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ «ما لك تكون محزوناً».

فقال: يا رسول الله إني أذنبت ذنباً في الجاهلية فأخاف أن لا يغفر الله وإن أسلمت، فقال له رسول الله ﷺ: «أخبرني عن ذلك»، فقال: يا رسول الله إني كنت من الذين يقتلون بناتهم فولدت لي بنتاً، فتشفعت لي امرأتي أن أتركها، فتركها حتى كبرت وصارت من أجمل النساء، فخطبوها، فدخلتني الحمية ولم يتحمل قلبي أن أزوجها أو أتركها في البيت بغير زوج، فقلت لامرأتي إني أريد أن أذهب إلى قبيلة كذا وكذا في زيارة أقربائي فابعثها معي، فسُرت بذلك وزينتها بالحلى والثياب، وأخذت عليّ الموائيق بالأأخونها، فذهبت بها إلى رأس بئر فنظرت في البئر فظننت ابنتي أنني أريد أن ألقها في البئر، فالتزمتني وجعلت تبكي

(1) ولجت: دخلت ونزلت.

(2) أخرجه البخاري: (2291).

وتقول: يا أبتِ أي شيء تريد أن تفعل بي؟ فرحمتها، ثم نظرت في البئر، فدخلت عليّ الحمية . ثم التزمتني، وجعلت تقول: يا أبتِ لا تضيع أمانة أمي، فجعلت مرة أنظر في البئر ومرة أنظر إليها فأرحمها، حتى غلبني الشيطان فأخذتها فألقيتها في البئر منكوسة وهي تنادي في البئر: يا أبتِ قتلتي! فمكثت هناك حتى انقطع صوتها فرجعت .

فبكى رسول الله ﷺ ثم قال: «لو أمرت أن أعاقب أحداً بما فعل في الجاهلية لعاقبتك».



### من أخلاق المأمون

حكى عن القاضي يحيى بن أكثم قال: كنت نائماً ذات ليلة عند المأمون فعطش، فامتنع أن يصيح بغلام يسقيه وأنا نائم فانتبهت من نومي، فرأيته وقد قام يمشي على أطراف أصابعه، حتى أتى مشربه وبينه وبين المكان الذي فيه الكيزان نحو ثلثمائة خطوة فأخذ منه فشرب، ثم رجع على أطراف أصابعه، حتى قرب من الفراش فخطا خطوات خفيفة كيلا ينبهني حتى صار إلى فراشه .

ثم رأته آخر الليل وقد قام لقضاء الحاجة وكان يقوم أول الليل وآخره، ولما أتى الفجر قعد طويلاً منتظراً أن أتحرك فيصيح، فلما تحرك وثب قائماً وصاح: يا غلام و تأهب للصلاة ثم جاءني فقال لي: كيف أصبحت يا أبا محمد؟ وكيف كان مبيتك؟ قلت: خير مبيت، جعلني الله فداءك يا أمير المؤمنين، قد حبب الله إليك سيرة الأنبياء، فهناك الله تعالى بهذه النفحة وأتمها. وكنت معه يوماً في بستان فجعلنا نمر بالريحان فيأخذ من الطاقة<sup>(1)</sup> والطاقتين، ويقول لقيّم البستان: أصلح هذا الحوض، في هذا الحوض شيء من البقول.

قال يحيى: ومشينا في البستان من أوله إلى آخره، وكنت أمشي مما يلي الشمس والمأمون مما يلي الظل، فكان يجذبني لأتحول أنا في الظل وهو في

(1) الطاقة: الحزمة من ريحان، أو زهر .

الشمس، فأمتنع عن ذلك حتى بلغنا آخر البستان.

قال يحيى: لتكوننَّ في مكاني، ولأكونن في مكانك، فقلت: والله يا أمير المؤمنين، لو قدرت يوم الهول أفديك بنفسي لفعلت فلم يزل بي حتى تحولت إلى الظل، وهو إلى الشمس، وقال: إنه لا خير في صحبة من لا يُنصف.

